

المهرج والواعظ

المهرج شخص موهوب، يستطيع تقليد غيره من الناس بشكل يثير اهتمام الجماهير التي تشاهده، إنه ممثل بارع يجعلك تضحك حتى تبكي من الضحك أحياناً... تضحك بسبب ما يقوله من أشياء، وعلى ما يقوم به من حركات، وعلى طريقة تقليده للآخرين من مشاهير الرجال والنساء والبؤساء. ومن خلال الضحك، يُساعدك المهرج عادة على الاسترخاء والإحساس بنوع من السعادة، وهذه من شأنها أن تُنسيك ما يُقلقك من أمور، وما يشغل بالك من قضايا لدقائق أو ساعات قد تطول. تشعر بعد أن تترك المسرح بارتياح يمكنك من استئناف حياتك المعتادة بنشوة وحماس أكثر من السابق. ومع أن صورة المهرج تختفي من الذاكرة بعد ساعات أو أيام، إلا أنها تعود بين الحين والآخر كي تُذكرك ببعض أقواله وأفعاله وحكاياته الطريفة المضحكة، تبتسم بسخرية، ثم تواصل السير كالمعتاد، لأنك تدرك أنه لا يجوز لعاقل أن يأخذ مهرجاً على محمل الجد.

رجل الدين الذي يعتبر نفسه مسئولاً عن هداية المؤمنين هو أيضاً ممثل موهوب، يتكلم عادة بثقة وعواطف جياشة تجعلك تشعر بالخوف والرهبة من الخالق أحياناً، وتقودك إلى البكاء أحياناً أخرى. وهذا يمكنه من التلاعب في عواطفك، وإقناعك بصحة، وأحياناً قسوية، ما يقص عليك من أساطير وحكايات، وحين تستسلم له يطلب منك القيام بأعمال وأفعال قد لا تكون في صالحك أو صالح المجتمع... أشياء من المفروض أن تساعدك على التعامل مع القضايا التي تشغل بالك وتقلق ضميرك. وهذا يعني أن الذهاب للإعتراف أمام خوري في كنيسة، أو الإصغاء لمشورة واعظ أو واعظة في بيت أو جامع، يشبه تماماً الذهاب لمسرح يقوم المهرج فيه بدور البطل... إنها رحلة تعكس شعوراً بالحاجة لنسيان الذات ولما يعكر صفو الحياة من أشياء وأفكار مؤقتاً. إلا أنك بعد أن تترك جلسات الوعظ والإرشاد والاعتراف، لا تشعر بنشوة، بل تشعر بالتقصير، وأحياناً بتعذيب الضمير ونم على بعض ما فعلت أو فشلت أن تفعل في الماضي. وهذا يجعلك تعيش حياتك بشعور يمتزج فيه الخوف مع الحزن.

لكن حين تنمو وينضج عقلك ويتحرر ضميرك من المخاوف والأشباح التي لا وجود لها على مسرح الحياة، فإن من المؤكد أن تشعر بمدى سذاجتك لتؤمن بشعارات ومفاهيم وخرافات وقصص غريبة لا معنى لها. وهذا يجعلك تضحك على نفسك بسخرية يشوبها نوع من الندم على ما أضعت من وقت، طبعاً إذا فُدر لك أن تنمو، وسمحت الظروف لعقلك أن ينضج، ومَلكتَ ما يكفي من الشجاعة لتطلق العنان لضميرك كي يتحرر ويحررك من الأوهام والخرافات والأساطير.